دول أوروبا وخاصة التي شهدت احتلالاً تركياً لها في القرن الثالث عشر ظلت تشتغل تركيا وتفرض عليها حصاراً ثقافياً واقتصادياً من داخل الذاكرة الأوروبية التي مازالت حتى اليوم تستدعي مشاهد من نمط الاسلام التركي الذي فرض بالقوة وبلغ حتى وسط أوروبا الى درجة أصبحت عدد المساجد أكثر من عدد الكنائس في بعض الدول مثل بلغاريا والنمسا غير أن الأمر لم يدم طويلاً، فسرعان ما انتهى بثورات شعبية عارمة، أخذت منحى الدفاع عن الهوية والكينونة والإرث الثقافي والحضاري للشعوب الأوروبية.

عن تـركـيا

ذاكرة لا تغفر وذاكرة مغرورة

محمد علي عناش

الوالي والقائد التركي وحاشيته لم يتعامل على أساس أنه في مجتمع مغاير ومختلف، ولم يقدم نفسه كوافد متحضر ومتعايش وحامل لمشروع حضاري كي يواكب النهضة العلمية والمعرفية التي كانت قد بزغ نورها في جميع أنحاء أوروبـا، وإنما قدم نفسه كرجل عسكري وتقليدي باحث عن أهوائه وملـذاتـه، حتى قصر السلطان وحريم السلطان وحكاية ألف ليلة وليلة ومختلف المظاهر المرتبطة بالقصر السلطاني في الاستانة، تم استنساخها ومماثلتها في هذه المجتمعات الجديدة لكن بالسبي والتطويع المذل والقاهر.

وبالطبع فإن الوالي التركي الذي بسط نفوذه بالقوة حتى وسط أوروبـا لم تكن المسألة لديه دينية محضة- كما جاولت بعض كتب التاريخ أن تسمي هذا التمدد باتجاه الغرب بالفتوحات الاسلامية وتأسيس دولة الخلافة الاسلامية- بل كانت المسألة عسكرية في إطـار مشروع الامبراطورية العثمانية وهو حلم ومشروع خاص يمتد الى ما قبل الدولة السلجوقية، لذا لم يتم تقديم الدين الإسلامي باعتباره دين حضارة وتعايش وديناً يحمل الكثير من قيم الحرية والعدالة واحترام عقل الانسان وكرامته، وإنما تم تقديم نمط اسلامي محمل بالكثير من الخرافات والغيبيات وبأزدراء المرأة والحط من كرامتها وإنسانيتها وتم فرضه بالقوة وبعقلية المنتصر والغالب وبما يتوافق مع أهواء ورغبات الحاكم التركي ونمط حياته ومعيشته.

من هنا ارتبط الاسلام والحاكم التركي في أذهان وذاكرة هذه الشعوب بالممارسات القمعية وسوء الإدارة وفسادها وبالقصر السلطاني وحـريـم السلطان والأديـرة والكنائس التي أوصدت أبوابها بالسلاسل والأغلال.

الاحتلال العثماني لبعض الدول الأوروبية استمر طويلاً لأكثر من أربعمائة سنة الا أنه في نهاية المطاف عاد الى أدراجه عليلاً أمام اتساع الثورات الشعبية ليس فقط في أوروبا وإنما ايضاً في البلدان العربية، ولم يلبث طويلاً، فسرعان ما تحول الى رجل مريض تتقاسم تركته الدول الكبرى.

غادر العثمانيون أوروبـا الا أنه لم يغادر ذاكرة هذه الشعوب المحتلة، التي مازالت حتى اليوم تختزل هواجس ومخاوف تلك الفترة، ومازالت تستدعي الصورة التي خلفها الاحتلال في أذهانهم على الوالي التركي المتصابي وفساد جيوشه وقسوتهم وانتهاكاتهم للحرمات والمقدسات، عن الطربوش والحمامات التركية التي توارثوا كرهها حتى اليوم، عن الثقافة المغايرة التي كرسوها وفرضوها بالقوة، والقائمة على الخرافة والتراقي واحتقار المرأة، وتطويعهم للدين لشرعنة كل هذه المظاهر والممارسات.

إن الذاكرة المختزلة لمشاهد وروايات القهر والإذلال لا تغفر ولا تسامح، فالذاكرة الجمعية لهذه الشعوب مازالت تتوارث حكاية ضريبة اللحم الحي، التي كانت تدفع من فلذات الأكباد عندما كانت الجيوش التركية تداهم الأسر في منازلها وتقوم باختطاف الاطفال الرضع وإرسالهم الى الأناضول، وهناك تُطمس أسماؤهم وشخصياتهم ويربون حتى يكونوا ضمن الطبقة العسكرية المحاربة «الانكشارية» التي تحمل راية الهلال المعكوف.

كما أن مدينة مثل صوفيا «عاصمة بلغاريا اليوم» التي صار فيها عدد الكنائس والأديرة بعدد الأصابع مقابل آلاف المساجد، وصار أكثر من ٨٠٪ من سكانها مسلمين كي يهربوا أو يفلتوا من الضرائب والأتـاوات ويتجنبوا الكثير من الممارسات المنتهكة لحرياتهم وكرامتهم، هاهي اليوم مساجدها بعدد الأصابع ومسلموها أقلية لا تُذكر، وبـذلـك ليس مـن الـلائـق أن تحكي عن فردوس مفقود أو أندلس أخرى.

الذاكرة لا ترحم ولا تسامح، وهو ما يفسر اليوم حالة الرفض الشعبية المناهضة لانضمام تركيا الى الاتحاد الاوروبي رغم أنها تمتلك كل المقومات التي تؤهلها لأن تكون عضواً فاعلاً في الاتحاد الأوروبي.

في المقابل ها هي تركيا اليوم التي وجدت نفسها إزاء أحداث عربية عارمة أخذت مسمى «ثـــورات الربيع العربي» لم تحاول أن تحيد مواقفها وأن تتجنب التدخل في شؤون البلدان العربية وعدم مجاراة المشاريع والأجندة التي تعصف بالمنطقة وتدمر كيانها وتماسكها وإنما انغمست ضمن هذه المشاريع التآمرية وأخذت تشتغلنا نحن العرب ولكن من داخل ذاكرتها وهي الذاكرة المكسرة و المغرورة التي مازالت تستدعي أوهام الباب العالي وحلم الخلافة الاسلامية عندما وجدت أن الفاعلين الرئيسيين في هذه الاحداث العربية الفوضوية هم تيار الاسلام السياسي والجماعات الاسلامية المتطرفة والارهابية، لكنه اليوم هو الحلم المهادن والمتصالح مع الكيان الصهيوني والحلم البرغماتي والانتهازي والمنفذ لأجندة ومصالح الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا، كنا نعتقد أن خط المشروع الاسلامي لحزب الرفاه التركي هو النموذج الاسلامي المعاصر الذي بإمكانه أن يجعل الأمة تتجاوز تخلفها، وتتخطى دائرة التخندق والجمود باسم الدين خلف المشاريع التعصبية والتفكيكية لوحدة الأمة، كي تواكبه اللحظة الحضارية والعلمية الراهنة، لكننا لم نكن نحسب حساب الذاكرة المغرورة وحساب التحالفات والمصالح البراغماتية التي ليس لها علاقة بالدين ولا بالقيم والحقوق الانسانية ولا بقيم الجوار والمعاهدات بين الدول.

ها هي تطعن سوريا من الخلف طعنات غادرة ولئيمة.. ها هي تشارك في تدميرها باسم الحرية والديمقراطية والـثـورة المتجردة من كل القيم والمبادئ، ها هي تحتضن القتلة والمرتزقة والمجرمين من تنظيم القاعدة وتقوم بتدريبهم وتزويدهم بالسلاح وإرسالهم للالتحاق بما يسمى «جبهة النصرة» كي يدمروا ويفخخوا داخل سوريا، ويعلّموا الأطفال كيف يمارسون التصفيات الجماعية والاعدامات بالسيوف، انهم الانكشارية الجدد لتركيا أردوغان الذين تسللوا من الكهنوت والأنفاق والصحراء القاحلة على عربة قطرية كي يمارسوا الجريمة الثورية باسم الله وتحت راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وها هي أيضاً تركيا أردوغان تغرق اليمن بالأسلحة المهربة وبالقناصات والمسدسات كاتمات الصوت والتي بسببها صارت الجريمة المنظمة تُرتكب بشكل يومي في حاراتنا وطرقاتنا حتى داخل غرف النوم، ومازالت الصفقات التركية مستمرة، بينما السفير التركي في صنعاء ينفي ثم ينفي وعندما لم يجد أن النفي أصبح لائقاً يعترف بوجود ورش للتصنيع ويعترف بـإلـقـاء القبض على بعض المتورطين، إلا أن الصفقات مازالت مستمرة لأن الذاكرة الـمـغـرورة مـازالـت تشتغل ومازالت تستدعي أحلام الباب العالي لكن بانتهازية ودونما حساب لحركة التاريخ ومتغيرات مئات من السنين.

حاشـــد.. و دثينـة!!

يبدو أن منطق القوة والعصبية التي كانت تقوم عليه الدولة التاريخية في اليمن قد بدأ بالتلاشي والأفول، وأصبحنا أمام معيارية جديدة تحضر فيها الجماهير بمفهومها المدني الحديث وتغيب فيها القبيلة والعصبية ومعيارية القوة التي كانت سائدة قبل ١١ فبراير ٢٠١٢م.

لقد أثبتت الأحداث في عام ٢٠١١م أن القوة العسكرية والعصبية القبلية لن تكون عوامل مهمة في تجليات اللحظة الوطنية ولا في ملامح المستقبل، ولو كانت ذات فاعلية لفرض الهيمنة وبسط النفوذ، لما غادر رؤساء الأنظمة في تونس، ومصر، واليمن قصورهم وسلطانهم،

عبدالرحمن مراد

ولفضّلوا البقاء، بيد أنهم أدركـوا بحكم التجربة والمراس الطويل أن تلك المفردات أصبحت طللاً بالياً وأن القوة اليوم في المشروع الحضاري والعمل الجماهيري التفاعلي وفي المؤسسات المدنية الحديثة، وهو الأمر الذي لم يستوعبه بعض أولئك الهاربين الى الثورة من الصفوف الأمامية للأنظمة ظناً منهم أن مثل ذلك التصدُّر سوف يكون ضماناً كافياً لاستمرار الماضي، في السيطرة والنفوذ والتحكم في مجريات الأحداث وفق ما تداولته الذاكرة الشعبية وترسخ في المفهوم والتصور السياسي في كون حاشد هي صانعة الرؤساء في اليمن لمتواليات الأحداث التاريخية بدءاً من بيعة الإمام يحيى حميد الدين «رحمه الله» عام ١٩٠٥م وانتهاء بما حدث في «١٧ يوليو ١٩٧٨م» وما استجد وتداخل طوال فترة حكم الرئيس علي عبدالله صالح «١٩٧٨-٢٠١٢م» ومثل ذلك التصور أصبح منتفى الدلالة ولا قيمة له.

ويُفترض باللواء الثائر علي محسن أن يتجاوز التلويح به، ولابد له أن يتذكر أن الذاكرة الشعبية التي تطلق تلك الـدلالات المعنوية لحاشد هي نفسها من تتهامس في مقابلها بما يوحي بالنهاية على يد «دثينة»، ولا أظن أن المقولة الشعبية تعزب عن بال اللواء وهي: «يا ويل صنعاء من حاشد، ويا ويل حاشد من دثينة» وهي مقولة قديمة تتناقلها القبائل وتتوقع حدوثها، فالحس الشعبي هو الذي يسبق الحدث، وقد دلت الأحداث في ٢٠١١م على امكانية الصدق في الحدس الشعبي كما هي في أول جمعة من رجب.

لا أدري إن كان اللواء محسن يؤمن بحتمية التغيير والتبدّل وأنّ بقاء الحال من المحال أم لا، إذ أن ما نشرته بعض الصحف في صدر صفحاتها الأولى يشير الى تمرد ثانٍ يقوده اللواء، وهو على وعي كامل أن التمرد الثاني لن يكون مُبرراً، ولن يجد أحداً يناصره عليه، والاستمرار فيه لا يعني أكثر من انتحار مهني أو انتحار سياسي أو اختيار نهاية غير موفقة.

المؤشرات توحي بأن اللواء علي محسن يخطط لتمرد ثانٍ

لا أظن أن اللواء علي محسن بحاجة إلى الاستمرار في العمل العسكري وأعتقد أن ثمة التزاما اخلاقيا قطعه على نفسه إبان الثورة الشبابية بالتخلي عن العمل العسكري حانت لحظة استحقاقه، ومن حقه أن ينخرط في العمل السياسي ويعمل على تأسيس حزب خاص وهو يملك مقومات التأسيس، مستثمراً وعده وموقفه في الكسب الجماهيري لحزبه الجديد وبذلك يكون قد تفاعل مع المستجدات وتعامل معها وفق منطقها وضرورتها، لا وفق منطق وضرورات الماضي الذي نشأ وترعرع مجده فيه، فالتجدّد والتفاعل مع اللحظات الزمنية المغايرة هو الاستمرار، والثبات هو الفناء المؤجل.

يبدو أن اللواء علي محسن أخذه زهو اللحظة السياسية الى مربعات ضبابية لم يحسن قراءتها والتعامل معها بما يحقق طموحه وغاياته، فلم يكن ترحيبه بقرارات الهيكلة إلاّ توقعاً لرفض خصمه اللدود العميد احمد علي عبدالله صالح، وكان يتوقع أن يحقق كسباً سياسياً، فجاءت الأحداث بعكس ما كان يتوقع ادراكاً من الطرف الآخر أن القوة لم تعد معياراً في الفاعلية والحضور السياسي، ومثل ذلك اليقين كان وراء خلق البدائل في الأدوات السياسية المساندة، فالعسكرية وعلومها لم تأتِ عند أحمد علي إلاّ بعد دراسة متأنية وواعية في العلوم السياسية، ولذلك فقد خسر كل الأطراف السياسيين في اليمن وخرج العميد أحمد علي عبدالله برصيد جماهيري وافر، فالناس لم تعهد منه عملاً مشيناً يسيئ الى هذا الوطن وأكبروا فيه صبره وتحمله وتغليبه المصلحة الوطنية في حادث النهدين رغم كل الاستفزازات التي مارسها الإعلام في الإثارة والتأثير، ثم يأتي موقفه من الهيكلة مسجلاً اعتراضاً حول الثغرات في بنيتها، متمنياً عدم الإضرار بما تحقق من حيث الاستفادة من البناء التراكمي، ومنفذاً في السياق ذاته قرارات الرئيس، إذ تناقلت وسائل الاعلام صبيحة قرارات الهيكلة بتسليم الحرس الجمهوري للمنظومة الصاروخية التي كانت رهان بعض الأطراف في إعلان التمرد ركوناً منها الى التداولات الاعلامية للموضوع.

لقد أصبحنا الآن على أعتاب مرحلة جديدة بالضرورة السياسية فيها سوف تفقد حاشد أدوات سيطرتها التقليدية، ولا سبيل أمامها إلاّ التفاعل مع مفردات المجتمع المدني بحيث تتحول المنظومة القبلية الى مؤسسة مدنية تتجاوز فكرة العصبية لتكون كياناً معبراً عن قطاع جماهيري أكثر اتساعاً لا تحده الجغرافيا والعرقية، وآن لـ«دثينة» أن تعيد ترتيب وصياغة العلاقات المدنية الحديثة وفق مفهوم أكثر تفاعلاً مع العصر، فالمعادلة المكانية وفـق مفهوم الحدس الشعبي الذي يتعدد منطوقه من مكان لآخر يتمدد سياقها وفق قانون التاريخ، ولعل أقرب دلالة لفظية لمقولة الحدس الشعبي هي تلك التي تأخذ بعداً سياسياً في مسار الأحداث والتي منطوقها «يا ويل عدن من صنعاء، ويا ويل صنعاء من دثينة» الرابط الوحيد بين المقولتين هو «دثينة» باعتبارها الحامل الوحيد لإحداث التوازن وإحداث الانتقال، وسواءً دل الملفوظ على المرحلة أو لم يدل إلاّ أن مؤشرات الأحداث دالة على صدق الحدس الشعبي فيما ذهب إليه من معنى، ويسند ذلك كله سنن الله في كونه فالدوام صفة غير ملازمة للإنسان ولا للزمان ولا للمكان، ومثل هذه الحقائق ذات قيمة عقدية في التصور الشعبي وفي تفاعله مع الزمن.. وعلى الذين يتشبثون بالماضي من خلال اللحظة التي صنعوا مفردات وأدوات تجاوزها لهم أن يعوا سنن الله وقانون التاريخ وأن يتفاعلوا مع عملية الانتقال من خلال إحداث الانتقال اللازم لهم في حياتهم واختيار الوضع المناسب لهم في تجليات المرحلة، وهو وضع لن يكون بحجم سلطة ونفوذ الماضي لكنه قد يحفظ لهم قدراً من التوازن النفسي.. فالسلطة كما قيل «رضاعها حلو، وفطامها مُرّ».

الرقـــم 6.. دلالات غريبـــة

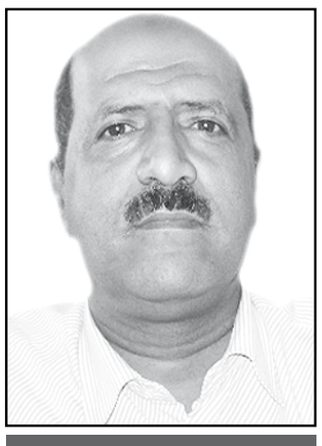

احمد مهدي سالم

كل رمز في حياتنا له معنى، وكلُّ رمشةِ عينٍ جميلةٍ ترسلُ ذبذباتٍ وإيحاءات وكلماتٍ الى المحبوب.. تقول أغنية مصرية:«رمش عينه اللي جارحني رمش عينه

الله يحكم ما بيني وبينه» والأرقام في حياتنا تحملُ غالباً دلالات معينة وقد تكون مصادفة، وقد وقفت وقفة سريعة أمام الرقم (٦) فطفت على شاشة ذهني هذه الأفكار الشغالة بقوة دفع سداسية:

-١-

- أهداف الثورة اليمنية.. ستة.

-٢-

شبكات التجسس الإيرانية التي تم كشفها في اليمن.. ست.

-٣-

- في مرض موته شكّل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجلساً استشارياً ضم ستة من الصحابة لاختيار أحدهم بعده أميراً للمؤمنين كتجسيد لأهمية الشورى في حياة المسلم.

-٤-

- المحافظات الجنوبية والشرقية، التي تشكل كيان جنوب اليمن.. ست وهي: عدن، لحج، أبين، شبوة، حضرموت، والمهرة.

-٥-

-المصادفة أن عدد رؤساء الجنوب والشمال.. ستة؛ ولأنّ كثيراً من شبابنا على قطيعة معرفية مع رموزنا السياسية سأذكرهم:

من الجنوب: قحطان محمد الشعبي، سالم ربيع علي، عبدالفتاح اسماعيل، علي ناصر محمد، علي سالم البيض، والسادس عبدربه منصور هادي الرئيس الحالي للبلاد.

ومن الشمال: عبدالله السلال، عبدالرحمن الارياني، ابراهيم الحمدي، أحمد حسين الغشمي، علي عبدالله صالح وسادسهم الرئيس التوافقي للشمال والجنوب المشير عبدربه منصور هادي.. مصادفة حسنة تعزز التقارب في زمن التباغض والتنافر.

-٦-

- كيمني وكعربي..أشعر بفخر واعتزاز عظيمين بأعظم انتصارات العرب في العصر الحديث.. ٦ / اكتوبر / ١٩٧٣م.. النصر المؤزر في ستة اكتوبر الذي كان بطله الرئيس القائد الشهيد محمد أنور السادات.. بطل الحرب، وفارس سلام الجدعان.

-٧-

منظمة (٥+١) تهتم بالشؤون السياسية وتكثر من الاجتماعات مؤخراً مع إيران حول برنامجها النووي.

-٨-

- للرقم ستة ذكرى خاصة جميلة في نفسي كوني خلال نشاطي الرياضي والثقافي والاعلامي لما يزيد عن ثلاثين عاماً..

اجتهدت وأسست ستة اتحادات فرعية في أبين أبرزها اتحاد الاعلام الرياضي، واتحاد كرة الطاولة واللجنة الثقافية وغيرها.

-٩-

ستة أبياتٍ شعرية أراها من عيون الشعر العربي في غرض الفخر:

أ- الفرزدق:

ترى الناس ما سِرْنا يسيرون حولنا
وإنْ نحن أومأنا الى الناسِ وقفوا

ب- عمرو بن كلثوم التغلبي:

إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ
تخرُّ الجبابر له ساجدين

ج- جرير:

إذا غضبتْ عليك بنو تميم
حسبت القوم كلهم غضابا

د- المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

هـ- العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهةٍ وسداد ثغرٍ

و- بشار بن برد:

إذا ما أُعَرْنا سيّداً من قبيلة
ذرى منبرٍ صلّى علينا وسلَّما

ز- أبو العلاء المعرّي:

ألا في سبيل المجدِ ما أنا فاعلُ
عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

-١٠-

- ستة كُتّاب ومحللين سياسيين يمنيين- من وجهة نظري- تنفرد رؤاهم الثقافية والسياسية بقدر كبير من الفاعلية والواقعية في الطرح والانتصار لقيمٍ وثوابت الوطن، وإن كنت آخذاً على أكثرهم التفريط باللغة وهم:

د. عمر عبدالعزيز، أحمد بن أحمد الحبيشي، د. عادل الشجاع، أحمد الصوفي، طه العامري، وعبده محمد الجندي.

آخر الكلام

وما زاده عندي قبيحُ فعالهِ
ولا السبُّ والإعراض إلا تحبُّبا

- أبو نواس-